أسلمة المعرفة وتقاطعها مع مشروع مالك بن نبي الفكري

Islamization of knowledge and its intersection with the intellectual project of Malik Bin Nabi

د. بلقاسم بن شعيب [1]
[1] جامعة الأغواط (الجزائر) ، benchaibbelkacem15@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/06/11 تاريخ القبول: 2019/06/15 تاريخ النشر: 2020/02/08

ملخص:

تتمظهر أسلمة المعرفة عند "مالك بن نبي" في ذلك المشروع الفكري والحضاري الذي يستلهم من الدين الإسلامي، والذي يتماهى في المعرفة الموضوعية المبنية على توافق العقل مع النقل وفقا لمعطيات الحضارة والثقافة، فأسلمة المعرفة هي تطبيق الدين على الواقع من حيث كونه فكرا يحادث معاصرة الإنسان الحديث ويتطابق مع طبيعة والوجود.

كلمات مفتاحية: مالك بن نبي، الحضارة، الثقافة، أسلمة المعرفة، الوعي الديني.

Abstract:

The Islamization of knowledge is manifested in Malik Bin Nabi's intellectual and cultural project inspired by the Islamic religion, which is characterized by objective knowledge based on the compatibility of the mind with the transfer according to the data of civilization and culture. The Islamization of knowledge is the application of religion to reality in terms of contemporary human thought Modern and corresponds to nature and existence.

Keywords: Malik Bin Nabi, civilization, culture, Islamization of knowledge, religious awareness.

المؤلف المرسل: بن شعيب بلقاسم، **الإيميل:** benchaibbelkacem15@gmail.com

- مقدمة:

تتأتى معالم أسلمة المعرفة في وجود تيارات مختلفة تمثلها فكريا ومنهجيا للجمع بين المعرفة الإسلامية أو الدينية، والواقع العملي في الحياة التأملية والفكرية، وكل ذلك لا يكون إلا بتطابق ضمني يجمع الشعور بالذات والشعور بالموضوع في عالم المعرفة المتعددة والمسبقة، فإسلامية المعرفة تنطلق من وعي كلي لذلك الوجود المعرفي المحايث للواقع المادي أو للكون في حد ذاته، لذا يمكننا التساؤل عن حقيقة أسلمة المعرفة كمفهوم، وعلاقتها بمشروع مالك بن نبي الفكري والحضاري والنهضوي.

- فما هي أسلمة المعرفة وفق أطر البعد الفكري لمشروع مالك بن نبي؟.

- وما هي رؤيته لإسلامية المعرفة بين جذورها الدينية و حقيقتها الواقعية؟

- أسلمة المعرفة:

"تتحقق إسلامية المعرفة بقراءة كتابين وتؤسس على تقابلهما وتكاملهما منهجيا في البحث والاكتشاف وهما الوحي المقروء، والكون المتحرك الذي يتضمن ظواهر الوجود كافة، فالقرآن العظيم كالكون البديع كلاهما يدل على الآخر ويقود إليه، فالقرآن يهدي إلى الكون، والكون يدل ويرشد إلى القرآن كذلك"[1].

يتبين من ذلك أن مشروع أسلمة المعرفة هو مقاربة بين الدين الإسلامي كطرف فعال في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للإنسان، والواقع المادي والموضوعي الذي تنصهر فيه المعرفة بإسقاط العوامل الدينية عليها بالعقل ومحاولة ربطها على أساس التوافق بينها معرفيا لإخضاع أي معرفة لأطر وسوابق دينية بحتة.

تتماشى أسلمة المعرفة مع قواعد الشريعة الإسلامية في معظم جوانبها المنهجية والمعرفية ويتجلى ذلك في: "تفعيل قواعد العقيدة معرفيا وتحويلها إلى طاعة معرفية مبدعة تقدم إجابة شافية عما يطلق عليه الأسئلة الكلية أو النهاية، وذلك من خلال الفهم المعرفي لقواعد الإيمان والتركيز على الأبعاد المنهجية لها. فما الذي ينقاد به معرفيا من الإيمان بالله الواحد وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره؟، وما هي الدلالات المنهجية لهذه القواعد؟"[2].

تتجه أسلمة المعرفة صوب المعرفة الإسلامية وتاريخها وخصائصها ومميزاتها خاصة ما تعلق منها بالجانب الفقهي أو الديني على وجه الخصوص، ذلك أن المدارس الفكرية الإسلامية اختلفت من عصر إلى آخر ومن تيار فكري إلى تيار فكري آخر، كالاختلاف بين العقل والنقل في المعرفة الإسلامية، ذلك ما أدى بإسلامية المعرفة إلى النظر إلى "الأساس الثاني الذي يقوم عليه النظام الإسلامي للمعرفة. هو كشف الأنساق أو النماذج المعرفية التي سادت تاريخ الإسلام ومدارسه الفكرية الفقهية

في مختلف عصوره، وذلك للربط بين الأنساق المعرفية أو النماذج وبين الإنتاج الفكري الذي وجد في تلك العصور لتحديد مدى الاستقامة والفعالية والتجديد والشمول في ذلك الإنتاج"[3].

ينطلق تيار أسلمة المعرفة من نبذ العصبية والتحزب والطائفية في الفكر الإسلامي وفي المعرفة الإسلامية، إذ المعرفة الإسلامية هي معرفة بالعقل وبالنقل وبالنظر وبالبرهان وتتأتى من الواقع الاجتماعي والسياسي المرتكز على الأخلاق، فنحن بذلك "بحاجة إلى العقيدة الدينية العاصمة من الدرن والرؤية العقلانية الهادية إلى الصواب والتجربة العلمية الواحدة في كل برهان ويتعين لكي نصلح شأننا وتتوفر لنا فرصة دخول أبواب المعرفة التي لا ينفتح أيا منها أمامنا إلا إذا امتلكنا مفاتيح على ضوء القاعدة الربانية التي تحضرنا كل حين القائلة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[4] التي من غيرها لا تتمن الجماعات من مغادرة عوامل الجهل والضعف والتخلق والكون الحضاري"[5].

تندمج المعارف الإسلامية بالمعارف العقلية والمنطقية والدينية كأساس لها في الطبيعة وفي الوجود الإنساني، إذ لا يمكن أن نسقط المعرفة الإسلامية على الدين فقط، بل على المعارف الأخرى التي تحتضن جانب الذاتي والموضوعي حتى نتمكن من معرفة مواقف الدينية بالحجة والبرهان والتي تتماشى مع أخلاقيات الدين ومبادئ للحفاظ على التوازن المعرفي واقعيا وروحيا، فلبناء المعرفة لابد من تحديد مقاصد الشريعة الإسلامية حتى نتمكن من رصدها على الواقع المحايث لها.

- تماهي أسلمة المعرفة في مشروع مالك بن نبي الفكري:

يتخذ "مالك بن نبي" من أسلة المعرفة أيديولوجيا لبناء الحضارة الإسلامية بمفاهيم أخلاقية لا تتجاوز حدود الأخلاق والقيم الإسلامية تتطابق مع الواقع المادي دون إفراغ من محتواه الروحي وفي ذلك نجده يقول: "إن أوروبا حققت المعجزات في عالم الاكتشافات وعالم العلوم، ولكنها فقدت في أعماق نفسها البعد الذي كان يروح عليها ويدفع عنها ويسندها في وقت المحن لأن يربطها بوجود الله، إذا أراد المسلم أن يسند هذا الفراغ في النفوس المتعطشة، النفوس المنتظرة للمسوغات الجديدة فيجب أولا أن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها كي يرفع الحضارة بذلك إلى قداسة الوجود"[6].

إن الوجود الحقيقي برؤية "مالك بن نبي" هو الوجود المؤمن بحقيقة الذات المؤمنة بحقيقة الله كقوة فاعلة في الوجود الطبيعي والبشري، فما يمكن أن تتضح فكرة "مالك بن نبي" حول إسلامية المعرفة خاصة في الشق السياسي المتعلق بالإصلاح والنهضة والعدول عن الظلم، فيرى أن الإسلام في حد ذاته هو مشروع ديمقراطي ينبغي المحافظة عليه في المعرفة السياسية إسلاميا فنجده يقول: "ينبغي أن نعده مشروعا ديمقراطيا تعززه الإسلامية في كل فرد من المجتمع"[7].

إن الإسلام وباعتباره حسب مالك مشروعا ليس فقط أخلاقيا، بل سياسيا أيضا، فإن استوجب تطبيق إسلاميا وديمقراطيا بما يحافظ على المعرفة الإسلامية في الجانب السياسي بالديمقراطية وبالتشاور وباحترام الذات وبالآخر فيطرح السؤال الآتي: "هل الإسلام يتضمن ويتكفل بهذه الشروط الذاتية والموضوعية، أي هل يكون نحو الأنا ونحو الآخرين الشعور الذي يطابق الروح الديمقراطي كما بينا، وهل يخلق الظروف الاجتماعية المناسبة لتنمية هذا الشعور؟"[8].

يزيل "مالك بن نبي" التناقض ذاته في المعرفة الإسلامي، إذ يرى أن تعاليم الإسلامي كانت تحافظ وتنطبق مع الواقع منذ ظهورها إلى الآن، ذلك أن الشورى والبيعة واحترام الرأي الآخر كانت من سمات مبادئ الإسلام السياسي في الماضي وفي الحاضر.

إن الديمقراطية الإسلامية في الحيز السياسي عند "مالك بن نبي" تأخذ نصيبها من المعرفة الإسلامية المتحدة عقلا ونقلا وتتحدد بعوامل ذاتية وأخرى موضوعية يجب إتباعها من أجل المحافظة على الإسلام في ركبه الحداثي، فهو يقول: "لأنه قد يحلو للبعض أن يتهم الإسلام بالتخلف عن ركب الديمقراطية من خلال ملاحظة واقعهم اليوم، أو إبان الفترة الاستعمارية، وهو مخالف للموضوعية، إذ يجب قياس الفكرة أثناء ازدهارها، وهو ما يعني الفترة التي زاولت فيه تأثيرها، وأعادت تشكيل الواقع وفق مقتضياته"[9].

1- العوامل الذاتية:

يستظهر "مالك بن نبي" الإسلام السياسي والإسلام الذاتي في محتوى العلاقة الرابطة بينهما على أساس إتباع الشروط الذاتية فيطرح السؤال الآتي وهو: "هل يكفل الإسلام عند الممارسة الشروط الذاتية التي من شأنها تحقيق الشعور الديمقراطي نحو الأنا ونحو الآخرين؟"[10].

يحدد لنا "مالك بن نبي" الإجابة وفق النموذج البشري فيرى أن الدين الإسلامي كرم الإنسان لما له من صفات ذاتية عامة وخاصة، ويربط ذلك بالشخص كونه المفكر والباحث عن ذاته في ثقافته وحضارته. "فالشخص في ذاته ليس مجرد فرد يكون النوع، وإنما هو الكائن المعقد الذي ينتج حضارة، وهذا الكائن هو في ذاته نتاج حضارة، إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء، وبعبارة أخرى كل من العوامل الاجتماعية الثلاثة، تتفق مع الصيغة التحليلية الآتية:

ناتج حضارة = إنسان + تراب + وقت"[11].

تهدف المعرفة في ديمقراطية الإسلام إلى معرفة الذات أو الشخص حسب "مالك بن نبي" المكرم من الله تكريما عاما وخاصا. "فالتكريم للإنسان يدل على أن الإسلام يمنح الإنسان أعلى قيمة عندما يعلي تكريمه وذلك في قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَ حَمَلْنَاهمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحرِ وَرَزَقْنَاهمْ مِنَ الطيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهمْ عَلَى كثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[12]، فهذا التكريم الذي يتجاوز به الإسلام

النظرة إلى الجانب الناسوتي أو الاجتماعي، يعد أساس الشعور الديمقراطي اتجاه الأنا واتجاه الآخرين"[13].

تتوافق أسلمة المعرفة عند "مالك بن نبي" بين المعرفة العقلية والمعرفة القبلية المحايثة لها والمتجاوزة لها أحيانا. "ذلك أن المقومين عند إطلاقهما يرجعان إلى العقل من حيث هو صورة المعرفة في حالتي العالمين الطبيعي المادي أو التاريخي الرمزي، والنقل من حيث هو مضمون المعرفة في الحالتين كذلك، وهذا هو محور كل الإشكاليات التي تعالجها المثالية الألمانية، وليست هذه الإشكاليات إشكاليات الفلسفة النقدية العربية الإسلامية ممثلة بذروتها عند "ابن تيمية وابن خلدون" ذروتها التي وضعنا في المقالين المتقدمتين على هذه"[14].

تعتمد أسلمة المعرفة على بناء العلاقات الاجتماعية المبنية على الثقافة وكيان الفرد والصناعة والقيم الأخلاقية المتوازنة دينيا إذ يرى "مالك بن نبي": "أن تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية وفي حقيقة تمزق لعالم الثقافة، باعتبارها المحيط الذي يصوغ كيان الفرد، كما إنها مجموعة من القواعد الأخلاقية والجمالية، والمنطق العملي، والصناعة، مما يعود بالإخفاق على الجهود الاجتماعية والفردية، لأن كل علاقة فاسدة بين الأفراد تولد فيما بينهم عقدا كفيلة بأن تحبط أعمالهم الجمالية فالعلاقة الفاسدة في عالم الأشخاص لها نتائجها على عالم الأفكار"[15].

تبدو شبكة العلاقات المعرفية من شبكة الأفكار الدينية الإسلامية التي يتبناها الأفراد والجماعات حفاظا على عوالمهم في الحياة، وحفاظا على كرامتهم المنظوية تحتها، لذا يذهب بناءا على ذلك أن هنالك تكريم خاص للمؤمن فهو دعم للتكريم الأول. "وقد وضع لـ حوافز تقيـ السقوط في هاوية الاستعباد أو هاوية العبودية، والتي تتمثل في حاجزي الاستعباد والعبودية".

1- فأما الحاجز الأول: فيحفظـ من الاستعباد ويظهر في قولـ تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[16].

2- وأما الحاجز الثاني: الذي يحفظـ من العبودية فنجده في قولـ تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[17]"[18].

يتلاقـ العلم مع المعرفة العامة في الدين الإسلامي لما لـ من إسقاط مباشر على العوامل الذاتية المذكورة في فكر "مالك بن نبي" فرأى أن الدين بفضل القرآن استطاع أن ينفعل مع الواقع الإسلامي من خلال المعرفة المأسلمة وهنا يتساءل بالقول: "يجب على وجـ الخصوص أن نتساءل إذا ما كان يستطيع القرآن أن يخلق في مجتمع ما المناخ المناسب للروح العلمي، وأن يطلق فيـ الأجهزة النفسية الضرورية لينتقل العلم من ناحية، ولتبليغـ من أخرى، هذه صورة المشكلة إذا ما طرحناها

كما يجب طرحها من الجانب النفسي الاجتماعي، لا من جانب تاريخ تطور العلم، ولو كان علينا أن نبرر الفكر الإسلامي من هذه الناحية بالذات"[19].

إن نتاج أسلمة المعرفة من الناحية الذاتية عند "مالك بن نبي" تؤسس القيم الإسلامية الأخلاقية بثوابتها الموجودة في الدين والتي تتجاوز حدود الذات إلى الواقع المعرفي، من هنا يرى "مالك بن نبي" أن: "المسلم محفوظ من النزعات المنافية للشعور الديمقراطي، الموجودة أو المدسوسة في طينة البشر، بما وضع الله في نفسه من تكريم مقدس، وما جعل عن يمينه وشماله من معالم، ترشد طريقه حتى لا يقع في وحل العبودية أو وحل الاستعباد"[20].

"وقد دعم الإسلام هذا المشروع الديمقراطي في جانبه المتعلق بالشروط الذاتية لمقدمات تهتم في إنجاحه، يذكر مالك بن نبي اثنين منها هما: تحرير الرقيق، والتصريح بحقوق الإنسان"[21].

يكون الإسلام بذلك دينا واقعيا أخذ حقه من المعرفة العملية في الواقع السياسي الراهن حتى يكون سندا لأي واقع ذاتي يمليه على الإنسان ضرورة وجوده الفعلي في السياسة كما في الدين. فلا تكون أسلمة المعرفة بحسب "مالك بني نبي" إلا بالرجوع إلى الموروث الديني والثقافي والتاريخ العام العربي والإسلامي وبالرجوع إلى عالم الأفكار، لأن الصراع برأيه هو صراع الأفكار. ومن هنا يمكن القول: "إن الخلل يكمن بالضبط في افتقاد العالم العربي الإسلامي لمبادئه ومرجعياته التاريخية على مستوى الوجود النفسي والاجتماعي، تلك هي الحقيقة المرة التي أرقت فكر مالك بن نبي وجعلته يلج باب مشكلات الحضارة من بابها الواسع، إذ في ظل الارتجالية السياسية والتحزبية البوليتيكية والتهاون العلمي والعملي، أدرك المفكر أن محل الصراع يقع غير بعيد عن عالم الأفكار، رب عالم للأفكار فقدت له المكانة التاريخية الملائمة في عالم أصبه كل ما فيه سيطرة الشيء وتعنت الأشخاص وترديهم إلى خلافات طائفية حزبية عرقية لا أساس لها في عالم المبادئ والقيم الثقافية الحضارية"[22].

لقد كان الإسلام فكرا أصيلا لبناء الشخص المسلم، والحضارة الإسلامية بمنطق الحق واحترام الذات والفكر والأشخاص والأمم والدول انطلاقا من واقع يؤمن بالمبادئ العامة والخاصة للإنسان، من هنا ندعم رؤية "مالك بن نبي" لرؤية "محمد عزيز الحبابي" حول بناء الشخصانية الإسلامية إذ نجده يشخصها بالقول: "فانظر كيف أن الشخصانية الإسلامية لا تعد الشخص معطى مطلقا، من حيث أنه موناده روحانية، بل الشخص هو الكائن الكلي الذي يزاوج بين البعد الروحي والبعد المادي، ومن ثمة إن الإسلام قد كان محقا فيما أعطى كلمة (أمة) مدلولا خاصا ... إن الأمة نظام فكرولوجي وسياسي وعاطفي تنطوي تحته معاشر من الأشخاص على أساس مبدأ الأمر

بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي يجعل من الشخص مسؤولا عن أفعاله وسلوكاته وتصرفاته إزاء ذاته ونظيره"[23].

يبدو أن هنالك علاقة رابطة بين الشخصانية الإسلامية التي تحترم المكون الإسلامي لاعتبارات أخلاقية ولقيم إنسانية تنبثق من الشخص الذات لتنتقل إلى الآخرين في إطار إسلامي يحافظ على الجميع من الشخص -إلى الأمة- ولا أدل على ذلك من رؤية "مالك بن نبي" لظاهرة الرق في الإسلام إذ نجد الإسلام قضى على هذه الظاهرة المستعبدة للأشخاص ولحرياتهم ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَهدَيْنَاه النَّجْدَيْنِ(10) فَلَا اقْتَحمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاك مَا الْعَقَبَةُ (12) فَك رَقَبَةٍ (13)**﴾[24]، فهذا تقويع يريد الله منه شغل الضمير المسلم بهذه القضية كما يأتي هذا الموضوع في سياقات أخرى متعددة. إن الاهتمام بقضية الرقيق هنا تسجل سابقة في التاريخ تضم على إثرها الرقيق إلى بني الإنسان أو الأشخاص مثلهم مثل الأحرار"[25].

"وأما المقدمة الثانية والمتمثلة في التصريح بحقوق الإنسان فتظهر في حجة الوداع عندما خطب الرسول عليه الصلاة والسلام الناس فكان من بين ما قال: "يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى"[26].

هذا يدل على أن الإسلام يرفع شعار المعرفة السياسية والمدنية بالمحافظة على الديمقراطية وحقوق الإنسان في كنف الإسلام في حد ذاته كفكر وكسبيل إلى وحدة الأمة.

2- العوامل الموضوعية:

يتخذ "مالك بن نبي" من العوامل الموضوعية سبيلا إلى أسلمة المعرفة ومدى واقعيتها على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية بناءا على تحقيق الديمقراطية السياسية، وذلك انطلاقا من مبدأ المحافظة على المصلحة العامة للأوطان والأمم في ظل المحافظة على الذوات والأفراد ويستدل "مالك بن نبي" بمجموعة من الجوانب الفاعلة في الديمقراطية المأسلمة منها:

"1- حرية الاعتقاد: وهي الحرية الأولى، والتي تتأسس عليها بقية الحريات، ويظهر إقرارها في قوله تعالى:﴿ **لَا إِكرَاه فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكفُرْبِالطاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّه فَقَدِ اسْتَمْسَك بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[27]، ومن بين الأمثلة الواقعية على تطبيق والالتزام به إعطاء "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه الخليفة الراشد لأهل إيليا الأمانة على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسائر ملتهم، لا تسكن كنائسهم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا صلبهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم"[28].

ذلك دليل قاطع يستند إليه "مالك بن نبي" في إعطاء الحقوق المدنية والسياسية للشعوب والتي يضمنها الدين الإسلامي واقعيا وعمليا بما جاء به القرآن والسنة وطبق على الواقع بين الشعوب والأمم.

فرأى "مالك بن نبي" أن حركات الإصلاح في العلم الإسلامي وشروط النهضة المعاصرة اهتمت بالجوانب الذاتية وأهملت الجوانب الموضوعية مما جعلها تبقى في ركود وجمود للفكر وللحضارة وللثقافة معا ففي نظره أن: "هذه الحركة كانت ترمي من كلا جانبها في نهاية الحساب إلى أن يستمر المجتمع الإسلامي بالوسائل الملائمة للدفاع عن ذاته أو لتبرير نفسه، بدلا من أن تقوم بتحويل الشروط الواقعية والأساسية لهذا المجتمع"[29].

يعود "مالك بن نبي" فيؤكد على وجود مشكلة متعددة يتخبط فيها العالم الإسلامي معرفيا إذ ابتعد عن الحيز الديني لإيجاد الحلول المناسبة لتفعيل ذاته وإنتاج ثقافته المجتمعية الحرة. "فالعالم الإسلامي يتعاطى هنا حبة ضد الجهل ويأخذ هناك قرصا ضد الاستعمار وفي مكان قصي يتناول عقارا كي يشفى من الفقر، فهو يبني هنا مدرسة ويطالب هناك باستقلاله وينشئ في بقعة قاصية مصنعا، ولكن حيث تتحدد حالته عن كثب لن نلمه شبه البرء، أي أننا لن نجد حضارة"[30].

الحضارة إذن هي نتاج جماد فكري وثقافي خلا من الجوانب الروحية للدين الإسلامي والمبنية على الموضوعية ومواجهة الواقع بالواقع العملي، دون الإسراف في النظر إلى الذات فقط.

إذن فالشخص "قوة مبادرة واختيار يلتزم، ويندمج، وينسجم، ويشعر، فيتقبل، أو يرفض. تلك هي الخصائص اللازمة للاعتراف بأن الشخص استقلال ذاتي"[31].

تتضح قابلية التوازن المعرفي في الإسلام من خلال الرؤية المشتركة بين الأنا أو الشخص أو الذات أو الطرف الآخر والتي لا تخلوا من معطيات تتطابق مع الدين الإسلامي وتتعامل معه بمنطق الواقع الفعلي وهنا نجد مقارنة يوضحها "محمد عزيز الحبابي" فيقول: "الشهادة في الإسلام مشابهة للدور الذي يقوم به الكوجيطو في فلسفة ديكارت، ولكنه كوجيطو يتجلى في بعض جوانبه معكوسا، فالمقر بالشهادة ينطلق من الله، ليعود إلى الأنا -الشاهد-، بينما في المنهج الديكارتي ننطلق من الشك إلى العالم مارين بفكرة اللانهاية في سير تصاعدي"[32].

من هنا طرح "مالك بن نبي" رأيته في المعرفة على أنها أي المعرفة الإسلامية إنما هي نتاج المعرفة بالحضارة وبالثقافة، تتلك الحضارة التي تصنع ذاتها بذاتها دون التأثر بالعوامل الخارجية الموروثة من طرف الغير فتكون الحضارة عندها فاقدة لنفسها ولمبادئها الموروثة عن الدين الإسلامي، وفي ذلك يرى "مالك بن نبي": "أن الوضع الحضاري الذي آل إليه العالم العربي الإسلامي في ظل المتغيرات العالمية الراهنة هو الفشل الذريع والأفول والبيات الحضاري والثقافي الذي جعل إنسان

الحضارة ينتقل من مصاف الشاهدة التاريخية التراثية إلى واقع حضاري آيل إلى ضنكية متصاعدة مثل الأفول نهايتها التاريخية، التخلف، حاكمية العولمة الغربية، اقتصاد المرجعية، الاغتراب، التشيؤ، القابلية للاستعمار ... وفي ظل هذا لم يجد الإنسان العربي المسلم من يد سوى المطالبة بالمسكن الحضاري المناسب من دون أن يسلك المبدأ الثقافي الملائم لطبيعة هذا المسكن"[33].

تلكم الأفكار التي جاء بها الإنسان العربي إنما أخذها من الفكر الغربي ليسقطها على العالم العربي الإسلامي المغاير في الثقافة والحضارة لها من الأصل.

تتخذ أسلمة المعرفة في الفكر العربي والإسلامي أشكالا مختلفة ومتعددة ومتفاوتة لتأثرها بالنصوص الدينية وبالموروث الثقافي والحضاري، بالإضافة إلى الجانب الاجتماعي الروحي الثابت في الشخص المسلم كأنا وكذاك وكآخر، من هنا تكون المعرفة معرفة تتطابق مع الواقع ومع الدين على أساس خدمة الإنسان كإنسان في المجتمع والسياسة والاقتصاد بنظرة دينية متوافقة متفاضلة، وهنا نجد (شتراوس) يعبر عنها بالقول: "لا توجد تجربة غير مفسرة، سواء في دائرة الطبيعة أو ميدان الروح، فالتجربة الدينية عبارة عن مواجهة الأم المطلق والمتعالي وهذه المواجهة تتجلى بأشكال عديدة وصور مختلفة"[34].

إذن المعرفة هي نتاج تلاق المعرفي وروحي وواقعي يستند إلى الدين في كل أحوال ويخدم الإنسان بكل الطرق والوسائل المتاحة في العالمين العام أو الخاص.

من هنا نجد (شتراوس) "يميز بين ثلاثة أنماط من الدين: الدين التقليدي المتوارث الذي بتعبيره قائم على المصلحة، والتدين الحقيقي الكلامي الذي يعتبره قائما على المعرفة وفق الأساليب الاستدلالية الظنية، والتدين العرفاني الذي هو التعبير عن عمق الممارسة الباطنية الروحية، ويرى أنا قائم على التجربة القبلي، أي السابقة على مأسسة الشعور أو الوعي الديني، ولكل من هذه المستويات معاييره النظرية وأدواتا المنهجية"[35].

يتبدى من ذلك مناخ فكري غربي وعربي إسلامي يهتدي إليا م"مالك بن نبي" لتبيان أسلمة المعرفة في الحياة السياسية الإسلامية المنبثقة عن الدين الإسلامي من حرية التعبير والرأي وخصائص المنزل وحرمتا ويستدل في ذلك بالآيات القرآنية الآتية:

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[36].

وقولا أيضا: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ا حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[37].

- هوامش المقال:

[1]- طﷺ جابر العلواني: إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، مكتبة شيخ الروحانيين، الشيخ عطية عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص 16.

[2]- طﷺ جابر العلواني: إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، مرجع سابق، ص 19.

[3]- طﷺ جابر العلواني: إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، مرجع سابق، ص 20.

[4]- سورة الرعد، الآية:11.

[5]- علي حسين الجابري: العقل العربي بين التنوير المنتظر والمعادلة الناقصة، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص 214.

[6]- مالك بن نبي: دور المسلم ورسالتﷺ في الثلث الأخير من القرن العشرين، مجموعة محاضرات، دمشق، سوريا، طرابلس، لبنان، 1972/03/28، ص 15.

[7]- مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 76.

[8]- مالك بن نبي: تأملات، مصدر سابق، ص 74.

[9]- بوراس يوسف: الفكر السياسي عند مالك بن نبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص 225.

[10]- المرجع نفسﷺ، ص 225.

[11]- عبد الله بن حمد العويسي: مالك بن نبي، حياتﷺ وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 454-455.

[12]- سورة الإسراء، الآية: 70.

[13]- بوراس يوسف: الفكر السياسي عند مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 225.

[14]- أبو يعرب المرزوقي: دور الفلسفة النقدية العربية ومميزاتها، موازنة تاريخية بين ذروتي الفكر الفلسفيتين العربية والألمانية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 391.

[15]- عبد الله بن حمد العويسي: مالك بن نبي، حياتﷺ وفكره، مرجع سابق، ص 455.

[16]- سورة القصص، الآية: 83.

[17]- سورة النساء، الآية: 97.

[18]- بوراس يوسف: الفكر السياسي عند مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 226.

[19]- مالك بن نبي: مفاهيم إسلامية، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1969، ص 26.

[20]- مالك بن نبي: تأملات، مصدر سابق، ص 78.

[21]- بوراس يوسف: الفكر السياسي عند مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 226.

[22]- مجموعة مؤلفين: الفلسفة العربية المعاصرة، تحولات الخطاب من الجمود التاريخي إلى مآزق الثقافة والأيديولوجيا، إشراف وتحرير: إسماعيل مهنانة، فتحي المسكيني، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، لبنان والجزائر، ط1، 2014، ص 575-576.

[23]- يوسف بن عدي: محمد عزيز الحبابي وتأسيس الفلسفة الشخصانية الواقعية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، المغرب، ط1، 2016، ص 149.

[24]- سورة البلد، الآيات: 10-13.

[25]- بوراس يوسف: الفكر السياسي عند مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 227.

[26]- المرجع نفسه، ص 227.

[27]- سورة البقرة، الآية: 256.

[28]- بوراس يوسف: الفكر السياسي عند مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 228.

[29]- مالك بن نبي: القضايا الكبرى، إشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، الجزائر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1991، ص 47.

[30]- مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل، عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، 1969، ص 60-61.

[31]- محمد عزيز الحبابي: الشخصانية الإسلامي، منشورات دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، ص 11.

[32]- محمد عزيز الحبابي: الشخصانية الإسلامي، المرجع السابق، ص 43.

[33]- مجموعة مؤلفين: الفلسفة العربية المعاصرة، تحولات الخطاب من الجمود التاريخي إلى مآزق الثقافة والأيديولوجيا، مرجع سابق، ص 582-583.

[34]- عبد الكريم سروش: الصراعات المستقيمة، قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية، ترجمة: أحمد القبانجي، منشورات الجمل، 2009، ص 17.

[35]- السيد ولد أباه: الدين والسياسة والأخلاق في السياقين الإسلامي الغربي، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص 181.

[36]- سورة آل عمران، الآية: 159.

[37]- سورة النور، الآية: 27.